عمر أميرالاي وأنا ما كنا في أكثر الأحيان متفقين ولكننا كنا يحب أحدنا الآخر، والحب يجّب ما سواه، فكثيراً ما كانت تتصارع أفكارنا ولكننا في الغالب الأعم كانت تتوافق آلامنا الإنسانية، كان حب الوطن يجمعنا كلٍ على طريقته وأسلوبه..

كنت غارقة بين أكداس من الأوراق المرجعية أصنفها، أفرزها، وأعيد ترتيبها عندما رن جوالي رنة تنبيهية لورود رسالة، ما كنت بعجلة من أمري لمعرفة مضمون الرسالة فما كنت بانتظار أي نبأ، أتممت تصنيف ما بين يدي من أوراق، متعبة كنت حتى العياء مددت يدي التقطت جوالي لأقرأ الرسالة وكنت أعتقدها إحدى الرسائل الدعائية والتي طالما كانت تردني، فتحت الرسالة بلا مبالاة قرأتها شهقت شهقة مكبوتة وسرى خدر في جسدي واعترتني قشعريرة، هنيهات مضت جرتني خارج حدود الزمان والمكان أغمضت عيناي رددت كلمات الرسالة "عمر أميرالاي مات" هكذا دون مقدمات ودون تعقيب فقط عمر مات. بحثت عن أقرب كرسي ارتمي عليه، بكيت وما كنت أعلم بأني ما زلت أملك من الدموع الكثير فقد كنت أظن أن دموعي جفت مع رحيل والدي..

عمر صديقي اللدود مات، عادت بي الذاكرة لسنوات خلت عندما التقيته أول مرة في بيت صديقة مشتركة جمعتنا مع بعض الأصدقاء في باحة بيتها الدمشقي في ظلال شجرتي النارنج والكباد، كان عمر رجلاً أنيقاً، باسماً، هادئاً، عيناه تبحث عن شواطئ عديدة تتراقص بحركات متسارعة فلا يستقر لهما قرار.

عمر أميرالاي ربيب الشيخ محيي الدين بن عربي فقد ولد على مرمى حجر من مقامه عام 1944 وتعلم منه ثقافة الحب والتسامح ورفض الفكرة الأحادية، وثقافة الاعتذار النادرة. عمر أممي المنهج والنسب، متعدد الهوية

فهو ابن أسرة امتزجت فيها الدماء البشرية ما بين تركي وكردي وعربي وشركسي.

هو ابن والده الشهيد يلاحقه فيحاول التحديق في الماضي عله يسترجع صورته فقد مات والده وهو في أول مدارج الطفولة عندما كان يطارد لورنس الشعلان فأصيب بطلق ناري أرداه قتيلاً، نعم هو ابن ذاك الرجل الشرطي الذي كان يطارد اللصوص والخونة ليحمي ترب الوطن.

عمر كان قليل الكلام ولكني كنت استفزه في أكثر الأحيان للكلام فأنجح في الاستماع ويطيل منه الكلام.

قال لي مرة يا بنت أنا ابن النكبة وابن النكسة ولكني أيضاً ابن الاستقلال والتحرير، كان عمر يسارياً مستقلاً لم ينضوي تحت لواء أي حزب ولكن الهم الوطني سكنه فمات المتمرد ولم يمت همه..

كان عمر متميزاً فما اختار يوماً السهل وإنما ركب الصعاب والمحرمات فلا محرم في قاموسه إلا القهر والاضطهاد وكبت الحريات، صادقاً في قوله ناقداً لذاته قبل الآخرين. أستاذ

يرفض الشمولية سواء أكانت إسلامية

من الضرورة أن أبدأ بنقد ذاتي وأن أصرح في مكان ما بأنني كنت متواطئا مع هذا الفكر في موضوع تحديث سوريا. وبالتالي نحن المثقفين كنا مسؤولين ولو بجزء ولو بنسبة معينة عن خراب بلادنا .

نحن أمام توارث شموليات عبر التاريخ. ولا أعتقد أننا وصلنا إلى الفصل الأخير من هذه الرحلة عبر التاريخ الشمولي في المنطقة .

هناك رحمتين أو جهتين ترحمان سوريا، لكن إلى زمن غير معروف مداه، الأولى هي الخوف من أن تتفكك سوريا و تنهار مثل انهيار العراق، ورحمة أخرى هي رحمة أولياء الشام، هناك 300 ولي في الشام (يضحك)، أنا أعتقد أن عظامهم ستتألم إذا ما دخلت دبابة أمريكية. لذلك اجتمع هؤلاء (يضحك) ليمثلوا سوريا وحرصهم على البلد ومصيره أكثر من حرص الـــ 218 نائبا .

كنا مجموعة يساريين مستقلين حالمين : عمر أميرالاي وقيس الزبيدي ومحمد ملص ونبيل المالح وآخرين . ولأننا عايشنا نكسة 67 ، ونحن من ولد في سنوات ضياع فلسطين ، فقد جعلنا التحرير غايتنا ، مع المحافظة على حلمنا الأساس : "وطن العدالة الاجتماعية" . كان عمر أكثرنا مبدئية ووضوحاً في الرؤية ، لذا اختار الفيلم التسجيلي وسيلته الأساسية في التعبير عن وجهة نظره . والتي كان يراها المسؤولون عن الثقافة في سورية وجهة نظر شديدة التطرف ، فكان أولنا في محنة المنع من العرض ، والتي ستطالنا جميعاً .

أول ماكان يلفت النظر في شخصية عمر الشاب هو التصميم على قول الحقيقة دون خوف أو مجاملة . لذا كان بعض اليسار المدجّن يراه متطرفاً وشديد الثقة بنفسه إلى حد اعتبارمن لا يعرفه أنه مغرور مترفع عن الناس .

لكن العمل الذي قمنا به كمجموعة تحاول نشر الوعي السينمائي عن طريق النادي السينمائي والمنتديات الثقافية ، أبرزت عمر صاحب الرأي ولكن

المتمرس بالديموقراطية ، فهو الوحيد بيننا الذي لم يكن خريج دولة اشتراكية ، والوحيد الذي كان شهد وشارك في ثورة الشباب في فرنسا عام 68 . لذا كانت زاوية رؤيته أوسع . هو حس النكتة العالي وسرعة البديهة.

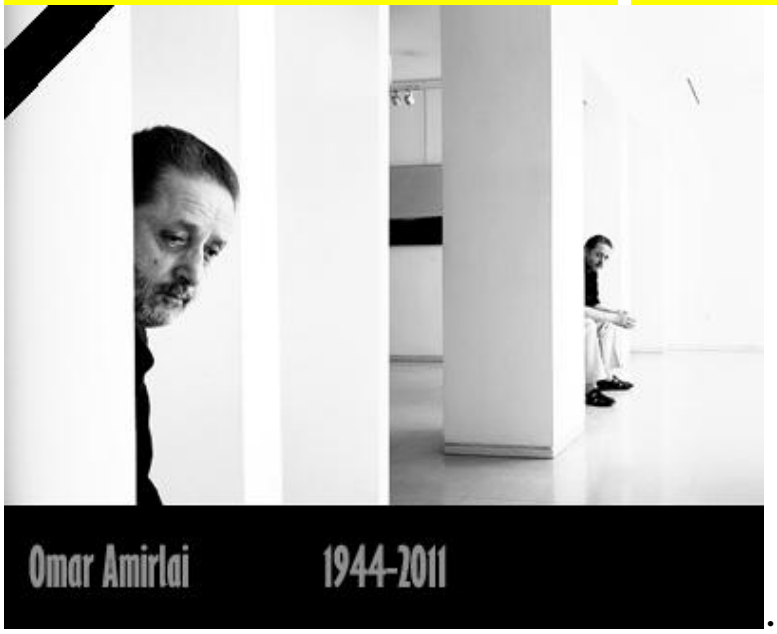

ميّزة عمر وهذه المجموعة أنها كانت تحمل الهم الثقافي العام واستطاعت أن تجمع حلقة من كل أطياف اليسار من المسرحيين والشعراء والكتاب والتشكيليين والصحفيين وكبار المثقفين حول مشروع ثقافي عام كان النادي السينمائي أحد تجلياته وليس كلّها .

هناك شيء يحدث على مستوى العالم ككل ..الرياح تعصف في كل مكان .. وبات من الصعب احتجاز هذه الرياح في غرفة

دمشق ــ ’القدس العربي‘ ــ من يارا بدر: التقيته للمرّة الأولى قبل عامٍ من

مثل هذا اليوم، التقينا لنتحدّث عن ثقافة الرقابة على الحرّيات الثقافية في سورية، وللمخرج

إشكاليٌ مشاكس، من جذوره إلى تفاصيل حياته، فهو دمشقي المولِد في منزلٍ يقوم على مرمى حجرٍ من مقام الشيخ الأكبر "محيي الدين بن عربي"، ذو أصولٍ عثمانية من خليطٍ قومي شركسي كردي تركي وعربي. درس المسرح في جامعة مسرح الأمم المتحدة في باريس أواسط الستينيات من القرن العشرين، والتحق بعدها بالمعهد العالي للدراسات السينمائية في باريس، إلى أن كانت الثورة الطلابيّة في أيار (مايو) 1968، حيث انقطع عن دراسته بعد المشاركة في الثورة، وعاد بعدها بقليل إلى دمشق، تحديداً عام 1970.

ابتدأ "أميرالاي" حياته بأحلام الشباب وتطلعاتهم الثوريّة، حمل كاميرته وذهب يحكي عن روعة سد الفرات وخيراته عام 1970 في أوّل شريطٍ له أسماه "محاولة عن سد الفرات". إلاّ أنه، وبعد قرابة العشرين فيلماً تسجيلياً، ذهب إلى هناك مرّة أخرى عام 2003 ليُقدّم "طوفان في بلد البعث" عن الوجه الآخر للسد، وآلية بناء هذا السد، وكل ما يمثله السد. محاكمة قاسية لأحلام الشباب وواقعهم ومن تحكم بهذا الواقع وتلك الأحلام، محاكمة قادت الفيلم إلى المنع من العرض في سورية.

"عمر أميرالاي" مُخرجٌ يأسرُ مشاهديه، لا يهتم بالبهرجة أو بالضجيج، ولا يهتم كثيراً بعائدات شباك التذاكر، بل إنّه مخرج أفلامٍ ممنوعة من العرض في سورية. وهو مُفكرٌ من طرازٍ لا يُصفق له الجميع، من طرازٍ خاص، كالمفكر الفلسطيني الراحل "إدوارد سعيد" أو الكاتب السوري الراحل "سعد الله ونوس"، أناسٌ انطلقوا في رؤاهم الفكرية من كونهم مفكرين كونيين،

مفكرين لا يشوبهم تعصّبٌ قومي، أو ديني، أو طائفي، وفي هذا السياق قال 'أميرالاي 'في إحدى الحوارات معه: 'أتاحت لي ولادتي من عدة أعراق أن أكون إنسانياً بعيداً عن التعصب القومي الذي لا أجد له أساساً علمياً وواقعياً، والحديث يطول في ذلك، فكنت دائماً بعيداً عن التعصب العرقي والديني والطائفي، كما أنني أعتبر المكان الذي أكون فيه ولادة وحياة وموتاً مصادفة محضة، فهل أستطيع أن أبني على المصادفة رؤية أيديولوجية؟ '.